

ظاهر، لأن قانون السببية عقلي، والقوانين العقلية لا تقبل التخصيص والاستثناء، وإنما تقبله القوانين الوضعية والتشريعية، مثلاً لنا أن نضع قانوناً ينص على أن كل من يخالف السير يعاقب بكذا إلا إذا كان غريباً عن الوطن، وليس لنا أن نقول بأن المساويين لثالث متساويين إلا إذا كان من خشب! لأن حكم العقل لا يقبل الاستثناء، ولم أر واحداً من القائلين بقانون السببية فرق بين الحادث الجزئي والحادث الكلي.

ومن هنا تخصص فريق لمعرفة أسباب الأنواع الخاصة كالحيوان والنبات والمعادن، وفريق آخر تخصص لمعرفة أسباب الكون بمجموعه كوحدة مترابطة، ويسمى الفريق الأول العلماء، والفريق الثاني الفلاسفة (1)، والمتخصصون بشئون النبات، والمتخصصون بشئون الحيوان، وعلماء الكيمياء، يعتمدون على الحس والتجربة، ويتخذون من المشاهدة أساساً لدراساتهم، أما الفلاسفة فيعتمدون على العقل والاستنتاج، حيث لا تقع فروضه تحت الرؤية، ولا يمكن إثبات شيء منها بالحس، وهذا ما أوقع مصطفى محمود في الاشتباه، ودفعه لإنكار ما يثبته العقل، والاعتراف بما يثبت بالمشاهدة فقط، مع أنه لا فرق بينهما إلا في طريق الإثبات والاستدلال، ولو كان الأمر كما يعتقد الكاتب لما تخصص لمعرفة كل فريق، ولوجب أن نحرق كتب الفلسفة، وكل ما يبحث عن الكون ونظامه، وصفات الخير والشر، والجمال والقبح، لأنها لا ترى بالحس والعيان!

السؤال الخامس: أثبت علماء هذا العصر أن الأرض قطعة انفصلت من الشمس، وأن الحياة فيها وعليها كانت محالاً وغير ممكنة بوجه من الوجوه، لأن حرارة سطح الشمس ستة آلاف درجة مئوية، أما باطنها فحرارته أربعون مليون درجة،

(هوامش)

(1) كانوا في سالف الدهر لا يفرقون بين العلم والفلسفة، وكانت العلوم الطبيعية في نظر القدماء جزءاً من الفلسفة، ومنذ ثلاثة قرون حصلت التفرقة، فاختص العلم بما يقع تحت الحس، وانصرفت الفلسفة إلى دراسة ما لا يحس، أو قل: إن موضوع العلم هو الطبيعة، وموضوع الفلسفة ما وراء الطبيعة.

